نبذ التطرف طريقا للتسامح الديني

يوسف عبد زيد الخطابي

الملخص

إن من اهم الامور التي تبحث عنها جميع المجتمعات في العالم وهو السلم الاهلي او التعايش السلمي بين الاديان والمذاهب والملل الاخرى.

حاول البحث إبراز ان التعايش هو إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالمَ، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على ما هيه الخير الذي يعم بني البشر جميعا دون استثناء، فالتعايش السلمي تعبير يراد به خلق جو من التفاهم بين الشعوب بَعِيدا" عَنِ الحَرْبِ وَالعُنْفِ.

يؤكد البحث ان التعايش هو إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالمَ، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على ما فيه الخير الذي يعم بني البشر جميعا دون استثناء، وقد أبرز البحث جملة من الحقائق بعد أن تمت معالجة المقدمات الممهدة لها؛ اذ وضح البحث أهمية تفعيل نبذ التطرف في المجتمع والآلية الناجعة للحد من الفتن و الصراعات الطائفية و العرقية والجنسية في أي مجتمع على قاعدة المساواة وعدم التمييز.

ان نبذ التطرف له اثر في ترسيخ مقصد مهم من مقاصد الشريعة وهو المحافظة على عقول الناس، من الانحدار نحو التصورات الفاسدة، والافكار المنحرف لذا أصبح لزاما من ضرورة تحذير العوام من الولوج في فهم القضايا العلمية وبناء تصوراتهم على وفق قراءاتهم الخاصة وغير المنضبطة بأصول وقواعد التفكير العلمي والأكاديمي.

كما واكد البحث أن التعايش السلمي هو اتفاق وقبول وتصالح أخلاقي بين الناس في تعاملهم ومعاملاتهم حيث ما وُجِدوا في نفس الزمان والمكان.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه، وبعد.

أن التسامح صفة إنسانية حضارية ليس بوسع أحد نكرانها وقد تمثلت هذه الصفة بأحلى مظاهرها في النبي محمد ﴿ ﷺ ﴾، لاسيما في مجتمع المدينة الذي كان يموج بالتنوع الديني والاثني من اليهود الى المسيح الى الديانات الاخرى التي سكنت قديما قبل العرب انفسهم. لهذا نجد ان الرسول ﴿ ﷺ ﴾ عند قدومه للمدينة أعد وثيقة المدينة التي حملت في طياتها اقرار بحقوق الجميع بدون تميز أو تفرقة وعن طريق الوثيقة يمكن معرفة حقيقة التعايش وطبيعة التعامل الذي قامت عليه اسس العلاقة.

ان العلاقات والصلات بين ابناء المجتمع تزداد وتتعمق اذا بنيت على استمرار التعايش السلمي في بقعة جغرافية واحدة وخضوع الافراد في مجموعهم لنفس الميول والعادات والتقاليد المشتركة التي تؤثر على سلوكهم وتاريخهم ،وبالتالي ترسم أهدافهم وأمانيهم العامة. وربما التعايش السلمي لم يتهيأ لاحد على الصورة التي تهيأت للعرب حين ارتبط تاريخهم بالإسلام فأعطاهم الهدف في هذه الحياة وجمعهم على عقيدة التوحيد ونشر تعاليم الرسالة التي قامت على مبادئ الحق والعدالة والمساواة واتسمت بسمات الاخاء والتسامح.

وقد اخترت أن أكتب بحثا يتناول بشكل موجز غير مخل بالمطلوب بعض المبادئ الاساسية لمفهوم التعايش الديني ونبذ التطرف ولبناء مجتمع يسوده السلم الاجتماعي ويعمه التعايش السلمي، يعرف كل فرد فيه مسلما كان أو غير مسلم ما له وما عليه، وفق ضوابط ومحددات تحقق العدل والحق والمساواة بين الجميع، وتدفع الظلم والجور والحيف عن الجميع.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن اقسمه: على مقدمة و مطلبين وخاتمة. تناولت في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، بينما تناولت في المطلب الأول مفهوم التعايش ،أما المطلب الثاني تناولت فيه دور الاسلام لتحقيق مبدأ التعايش والطريق اليه، ثم ختمت هذا البحث بخاتمة أوجزت فيها أهمَّ ما توصلتُ إليه من نتائج ، وأخيرًا أسأل اللهَ تعالى أنْ اكون قد وفِّقتُ في رسم صورة واضحة

المعالم لهذا البحث الذي قد يُنظر إليه من زوايا متعددة، وأملنا بالله كبير ألاَّ تكون من بينها نظرة سطحية تحكم عليه، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

المطلب الاول

مفهوم التعايش

التعايش لغة:

هو(عيش) ،وتدل على الحياة والبقاء ،قال الخليل(العيشُ: الحياةُ. والمعيشة: الّتي يعيش بها الإنسان من المطعم والمشرب، والعِيشة: ضربٌ من العيش، مثل: الجِلْسة، والمِشْية، وكلّ شيء يعاشُ به أو فيه فهو معاش، النّهار معاش،)[1], ويقال (تعايشوا)عاشوا على الألفة والمودة ، وعايشه: عاش معه[2].

التعايش في الاصطلاح:

اما التعريف الاصطلاحي لا يبتعد كثيرا عن المعاني اللغوية السابقة، لكن قبل ذلك علينا الاستشهاد بتعريفات المفكرين، ثم نستنبط من المعاني اللغوية لمفردة التعايش.

عرفه العلماء بعدة تعاريف، ومن هذه التعاريف: (هو تعريف غير المسلمين بديننا ، والدعوة إليه ، فان لم يقبلوه دينا لهم، فينبغي حينئذ وضع القواعد التي تكفل حقن الدماء ، والتمكين للناس من السعي في الأرض وإقامة العدل بين الناس، والتعاون فيما يمكن التعاون فيه)[3].

وعرف أيضا": بأنه الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثقافي ولأشكال التعبير والصفات الإنسانية المختلفة. وهذا التعريف يعني قبل كل شيء اتخاذ موقف ايجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوقهم وحرياتهم الأساسية المعترف بها عالميا"[4].

---

[1] ينظر كتاب العين ، للخليل:179/2، باب(العين والشين و (واي) معهما)

[2] ينظر كتاب غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، 1/ 415-416 معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، 194/4، لسان العرب لابن منظور6/ 321-322،.

[3] التقارب والتعايش مع غير المسلمين، الدكتور محمد موسى الشريف، دار ابن كثير- دمشق-بيروت، الطبعة الأولى: 1427هـ - 2006م، ص7.

[4] الإعلام العربي بين التنوير والتزوير ، أحمد جابر حسنين ، ص76 .

والتعايش هو" إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالمَ، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على ما فيه الخير الذي يعم بني البشر جميعا دون استثناء[5].

وعرف ايضا بانها هو العيش والسلام بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان وأخيه الإنسان في دينه، وأخيه الإنسان المؤمن في دين آخر، بين الإنسان والإنسان مهما كان هويتهما باعتبارهما كائنان مكرمان من الله تعالى، باعتبارهما ابنا آدم(عليه السلام)، ولقد كرّم الله بني آدم أجمعين، كما يقول تعالى(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ على كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلً)[6].

وعرفت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) التعايش في بيان لها بأنه احترام الآخرين، وحرياتهم، والاعتراف بالاختلافات بين الأفراد، والقبول بالآخر، وتقدير التنوع الثقافي، واعتبره آخرون بأنه : اجتماع مجموعة من الناس في مكان معين ، تربطهم وسائل العيش من المأكل والمشرب وأساسيات الحياة بغض النظر عن الدين والانتماءات الأخرى، ويعترف كل منهما بحق الآخر دون اندماج وانصهار، أي أن يكون التعايش المطلوب مع مجموعة مختلفة في الدين أو اللون أو الطائفة أو القومية. وتتسع في مدلولاتها لتشمل كل القضايا المتعلقة بحياة الإنسان فيما يفعل وفيما لا يفعل، في حركته الفردية والاجتماعية، في الممارسات الذاتية المتعلقة بطعامه وشرابه ولهوه ولعبه وغرائزه وميوله"[7]، وهو مبدأ يدعم حرية فرد أو مجموعة في الحياة الخاصة أو العامة في اظهار دينهم أو معتقداتهم أو شعائرهم الدينية سواء بالتعليم أو الممارسة أو الاحتفال، ويشمل المصطلح كذلك حرية تغيير الدين أو عدم اتباع أي دين[8].

[5] ينظر: الحوار من أجل التعايش، د.عبدالعزيز بن عثمان التويجري، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م /76.

[6] سورة الإسراء: 70.

[7] السيد محمد حسين فضل الله، مجلة المنطلق، العدد18، 1402 هـ، /14.

[8] موسوعة ويكيبديا الحرة، مادة الحرية، 25/4/2012. حرية/www.wekebedya.com/wiki .

اما التعايش السلمي: هو تعبير يراد به خلق جو من التفاهم بين الشعوب بعيدا عن الحرب والعنف"[9].

المطلب الثاني

الاسلام طريق التسامح

إن الخط العام بين الفكر عند نشوئه وفي مراحل تطوره الأخرى يكون مختلفاً اختلافاً كبيراً ، فالفكرة قد تنشئ لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية ، ثم لا تلبث ا ن تنحرف بعيداً عن أسباب وجودها ونشأتها ، ولا يخلو حتى الدين بكل مسمياته من هذه الظاهرة أو المشكلة ، "والمشكلة في كل دين نبوي إنهُ يتحول إلى دين كهاني بمرور الأيام فالتعاليم التي جاء بها النبي (والمقصود في عموم اللفظ ، ولا يخص نبياً معيناً) كثيراً ما تناقض العادات الاجتماعية السائدة بين الناس ، وهم إنما رضخوا لتلك التعاليم في فترة الحماس الأولى ، عند دخولهم في الدين الجديد ، ولكنهم لا يستطيعون الاستمرار عليها طويلاً ، فهم لابد ان يتحررا منها ليعودا إلى عاداتهم القديمة أو يطوروا لهم عادات أخرى تحت ظروفهم المتغيرة"[10].

كان بناء دين الإسلام منذ ظهوره على اليسر قال ﷺ : « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه »[11]. وفي هذا الدين من السماحة والسهولة ومن اليسر والرحمة ما يتوافق مع عالميته وخلوده وهو ما يجعله صالحا لكل زمان ومكان لسائر الأمم والشعوب ، فالسماحة تتواءم مع عالمية الإسلام ، وخطاب الدعوة في القرآن والسنة يؤكد ذلك حيث جاءت النصوص تدعو الناس أن ينضموا تحت لواء واحد وأن يتنافسوا على معيار الإسلام الخالد وهو التقوى قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[12]. لقد جاء الإسلام في فترة جاهلية أهدرت كرامة الإنسان وحريته فأعاد الإسلام بناء الإنسان من جديد ونظم علاقته بربه وعلاقته بالآخرين .

---

(9) معجم الغني، عبدالغني أبوالعزم، موقع صخر العربية:http://qamoos smkhr.com/openme.asp.

10 الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ط1، دار الكتاب الإسلامي، (د.م – 2005م)، 343/2.

11 رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ، رقم الحديث : 39 .

12 سورة الحجرات / 13 .

لقد احتضنت مكة قبل الإسلام أصنام العرب ، "فقامت تستضيف في كعبتها أرباب قبائل الجزيرة على تعددها وتناقضها تلك الأرباب التي كانت في نظر أصحابها أسلافاً صالحين، وكان الرب هو جد القبيلة البعيد وسيدها ورمزها ومعبودها وضامن وحدتها وتماسكها... ولم تجد قبائل الجزيرة في تلك الضيافة غضاضة ، بل رحبت بدورها بتلك الخطوة وسارعت إليها"[13]. وهكذا عرف العرب قبل الإسلام نوعاً من التسامح الديني كان منشأه الحاجة الاقتصادية وضرورات الحياة المبنية على التعاون في بيئة قاسية فكان لابد من القبول بالآخر وأفكارهِ وآرائهِ والتعامل معهُ على أساس الإنسانية قبل أي شيء "فأصبحت مكة حرماً آمناً، يطمئن فيه الناس على حياتهم وأموالهم ، ويفسح أمامهم المجال للتعبير عما يجول في نفوسهم من معتقدات وأفكار من غير خوف أو وجل"[14] , فكان من نتيجة ذلك التمازج نشوء العربية الفصحى وهي لغة القرآن، كما ان الرسول ﴿ ﷺ ﴾ نشأ وترعرع في تلك البيئة فكان يرى ﴿ﷺ﴾ الكثير من قبائل العرب وهي تتوافد على مكة بمختلف ثقافتها وأعرافها ودياناتها ومنها السماوية ، فكانت آيات القرآن وهي تنزل على نبي الأمة تحثهُ على المجادلة بالتي هي أحسن ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۚ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾[15] ، و﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[16] و ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[17].

إن الإسلام لم يقم على اضطهاد مخالفيه أو مصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالكره عن عقائدهم أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم وتاريخ الإسلام في هذا المجال أنصع تاريخ على وجه الأرض[18].

(13) القمي ، سيد محمود ، حروب دولة الرسول ، ط4 ، مطبوعات مدبولي الصغير، (القاهرة – د.ت) ، 14/1 .
(14) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي (بغداد – د.ت) ، 507/6 .
(15) سورة العنكبوت ، الآية 47.
(16) سورة النحل ، الآية 125.
(17) سورة النحل ، الآية 126.
[18] انظر: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، دار التوزيع، القاهرة، ط 1، 1409هـ،ص6.

ان الشريعة في اللغة تعني الطريق، وهو ما شرع الله لعباده وفيها كما ذكر المفسرون ان لكل من أهل الكتاب من الإنجيل والتوراة والقرآن شرائع مختلفة فالدين واحد والإله سبحانهُ واحد ولكل أمة رسول وشريعة[19]، وهذه هي بحق كما وصفها أحد الباحثين أول إقرار لحقوق الإنسان من جهة ومن جهة أخرى أهم إقرار بالحقوق الدينية والاعتراف بالآخر، من مبدأ التسامح الديني والقبول بالآخر، وهو ما عرفهُ العرب في تاريخهم الطويل، كل ذلك وآيات أخرى سوف نذكرها، كانت تعبر عن احترام الجميع، وهي كما نرى لم تكن لتعتبر الآخر مما يمكن قتله أو استباحة دمهُ، لمجرد الاختلاف معهُ فكرياً و دينياً، ولو استثنينا سنوات القتال التي دارت بين الدعوة وأعدائها والتي بنيت عليها أحكام التعامل بالقوة والسيف، لوجدنا ان أغلب التعامل دون تلك الفترة كان يقوم على أساس التسامح مع الآخرين ومع معتقداتهم، ولا ريب ان سنوات القتال في كل زمان ومكان تكون فيها الأحداث والقوانين طارئة، وهي تصلح لوقت ما وقد تعطل في زمان آخر وهذا ما عرف في علوم الفقه بعلم الناسخ والمنسوخ، والتي لا مجال ها هنا لذكرها وقد أشار ابن حزم إلى أمر مهم فيما يخص تلك الحالة بالقول، "ان الحق يعود باطلاً والأمر يعود نهياً وان الطاعة تعود معصية وهكذا القول في جميع شرائعهم لأنها إنما هي أوامر في وقت محدد بعمل محدد فإذا خرج ذلك الوقت عاد ذلك الأمر منهياً عنه"[20]، وقد عبر أحد الباحثين عن هذا القول معتبراً إياه بكشف عن رصيد الثقافة العقلانية التي تشبع بها مفكرو العصور الإسلامية على اختلاف منازعهم[21]. وشرع الإسلام مواساة غير المسلمين بالمال عند الحاجة فشرع للمسلم أن يعطيهم من الصدقة ويهدى إليهم ويقبل هديتهم ويواسيهم عند المصيبة ويعود مريضهم ويهنئهم بما تشرع فيه التهنئة كالتهنئة بالمولود والزواج وبناديهم بأسمائهم المحببة إليهم تأليفا لهم[22].

19الحبيشي، نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف، ط3، دار العلم للملايين، (بيروت – د.ت)،ص79.

[20] ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مكتبة السلام العالمية ، (القاهرة – د.ت)، 100/1.

[21] العلوي ، هادي، من قاموس التراث ، الأهالي للطباعة والنشر ، (دمشق – 1988م) ، ص96 .

[22] انظر تفصيل ذلك في : دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، عبد الله اللحيدان ، مطابع الحميضي ، الرياض, ط 1 ، 1420 هـ ص 178 - 148

والقول بمجمله يمثل قمة في تطوير الأفكار بتغير الظروف وهو ما يمكن النفاذ منه في عصورنا الحالية للعيش مع الجميع على أساس التكافؤ والمصالح المشتركة دون التنازل عما يمكن اعتباره حقوقاً لا يمكن التراجع او التخلي عنها .

لقد اجتاز الإسلام فترتين حاسمتين في تاريخه التأسيسي في زمن الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وهي الفترة المكية عندما كانت التعاليم ترتبط بالعقيدة وبالوعد والوعيد لكنها تنحوا اجتماعياً منحى المسالمة والموادعة حيث لم يكن للنبي ﴿ ﷺ ﴾ أي سلطة سوى مساندة قومه من بني هاشم له ضد أعدائه ، أما الفترة الأخرى وهي الفترة المدنية حيث صار الإسلام دولة وتوحدت فيه السلطتان الزمنية والروحية في يد الرسول ﴿ ﷺ ﴾أخذت التعاليم الدينية منحىً دنيوياً وهنا يتساءل صاحب هذا الرأي هل هو تحول في بنية الدين ذاته أم هو تحول تاريخي؟[23] ان صاحب هذا الرأي يطرح تساؤلاً مهماً وله علاقة وثيقة بموضوع التسامح الديني والعيش مع الآخر بوئام ، حيث أنهُ يوعز ما حدث في المدينة في فترة تاريخية ، كان مرحلة اضطرت المسلمين للوقوف بحزم وقوة ضد من حاول القضاء على دعوة الإسلام وليس ضد تعدد الأفكار ، وحتى التي كانت تناصب النبي عدوانها ، فهذا القرآن الكريم يخاطب الرسول ﷺ وهو في المدينة بين اليهود بالقول : ﴿ كَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[24] ، وآيات آخر لا مجال لذكرها لأن البحث لا يسعها ، وهو يمثل قمة في احترام معتقدات الأخرى إذا ما ألتزم الأخر باحترام المواثيق والعهود.

ان الدين عامة والإسلام خاصة لا قوم كما يتوهم البعض على أساس (القسر) أو الإلزام أي لا يقوم على العبودية بالمعنى الذي يفهمه هؤلاء البعض وهم أصحاب ما يسمى بالحاكمية ... لأن العلاقة بين الله سبحانه وتعالى والإنسان كما يصوغها القرآن الكريم تقوم على أساس "حرية الاختيار" فالمجال مفتوح أمام الإنسان ليؤمن أو ليكفر وان النصوص الدالة على هذه الحرية محفوظة ومعروفة وحين يختار الإنسان عقيدة بعينها يكون مطلوباً منهُ الطاعة

[23] ابو زيد، نصر حامد، التفكير في زمن التكفير، ط2، مكتبة مدبولي، (القاهرة – 1995)، ص88-89.
[24] سورة المائدة الآية: 43.

القائمة على حرية الاختيار الأصلية فالفرع لا يلغي الأصل أبداً[25]، ان للأفكار تاريخاً ويجب ان لا تفصل تلك الأفكار عن تاريخها، وحين تفصل الفكرة عن تاريخها، تصبح آنذاك مقدسة لا يمكن المساس بها وكأنها خارج التاريخ وفي الحقيقة لا توجد فكرة بلا تاريخ مهما كانت قدسيتها أو أهميتها ولكي نعرف أي شريعة أو فكرة فإن علينا ان لا نفصلها عن تاريخها وكأنها جزءًا منفصلاً عن ذلك التاريخ وقد وعى الإمام علي ﴿ رضي الله عنه ﴾ ذلك بقوله عن القرآن في موقعة صفين لما حكموا القرآن بينه وبين معاوية فقال "إنا لسنا حكمنا الرجال إنما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق إنما يتكلم به الرجال"[26]، أو كما قال في موضع آخر "القرآن حمال أوجه"[27]، وقد أشار أبو الدرداء ﴿ رضي الله عنه ﴾ عن ذلك قائلاً: "لا يكون الرجل فقيهاً حتى يحمل الآية الواحدة على محامل متعددة"[28]. وما نريد الوصول إليه بعد كل هذا هو ان بإمكاننا التعامل مع تلك النصوص فيما يخدم المصلحة العامة وحقن دماء الناس والتعايش مع الجميع. ولا نريد الخوض أكثر فالبحر واسع ولا يسعه مدادنا مهما كبر وعظم وإنما يكفي ما أشرنا إليه علّهُ يغني من الأمر شيء.

ومن ركائز الإسلام الأساسية مصدرين مهمين هما القرآن وهو كلام الله والسنة النبوية ، وهي أحاديث الرسول وممارساته اليومية وقد دون القرآن وكما هو معروف في وقت مبكر، أما السنة فقد بقيت تتناقلها الألسن شفوياً إلى ما بعد الخلفاء الراشدين[29]، فالسنة إنما خضعت على تاريخها الطويل للنقل شفاهاً وعلى ألسنة الرواة ، ولابد من أنها تعرضت في ذلك التاريخ الطويل لما تتعرض له الروايات عند النقل الشفهي ، إلا ان الأعم الأغلب فيما وصل إلينا إنما يمثل حالات التعايش السلمي مع الآخر والسماح له بممارسة شعائره دون التعرض لها .

[25] ابو زيد، التفكير في زمن التكفير 146- 147.

[26] الطبري، محمد بن جرير، (ت310هـ)، تاريخ الطبري، دار صادر ، (بيروت- 1980)، 110/3.

[27] احمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ط2 ، دار القلم ، (بيروت – د.ت) ،ص 403 .

[28] حسن عبد الفتاح أحمد، عناية المسلمين بأسرار وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. م. ط ، (المغرب-د.ت)، ص4، ولي الله الدهلوي، الفوز الكبير في أحوال التفسير، دار الجيل، (بيروت – 1975)، ص98.

[29] العلوي، من قاموس التراث، ص16.

وجاء الاسلام ينظر باحترام الى تعاليم التوراة الاصلية ومما جاء به (إن هذا لفي الصحف الاولى، صحف ابراهيم وموسى)[30] ويذكر بدور موسى لبني اسرائيل[31]، ويشير الى وجود وفاق بين تعاليم القران والتوراة الاصلية[32].

لذا كان امام رسول الله مهمة في غاية الدقة في اللحظات الاولى منذ نزوله الى المدينة وهي التأليف بين هذه القطاعات الاجتماعية وتامين عيشها معا دون مشاكل ويكون الرابط بينها بالدرجة الاساس الانتماء للوطن والارض المشتركة وتنميتها والدفاع عنها وكذلك الالتزام بالتسامح الديني والعون الانساني العام والمساواة القائمة على العلاقات والقواعد العامة والنظرة على انهم بشر مكرمون مهما كان دينهم وانتماؤهم.

وكان الرسول يتوقع ترحيب اليهود ، ومساعدتهم للمسلمين لأنهم أهل كتاب فعاملهم بانفتاح ووضع كتاباً بين الجماعة الاسلامية وبينهم في المدينة " كتابا بين المهاجرين والانصار وأدع فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم"[33] وينظم الكتاب الشؤون المشتركة بينهم ويوجب التساند في وجه الخطر الخارجي خاصة ولكنهم سرعان ماوقفوا منه موقفا اتسم بالسلبية وتدرج الى المقاومة والتاليب مما اضطر الرسول(ﷺ) الى اجلائهم34، اذ يذكر الواقدي "فلما أصاب رسول الله (ﷺ) أصحاب بدر ، وقدم المدينة بغت يهود وقطعت ماكان بينها وبين رسول الله (ﷺ) من العهد"[35].

كان النبي (ﷺ) حريصاً على التزام التسامح الديني مع اليهود كونهم أهل كتاب سماوي امتثالا لقوله تعالى: (لا إكراه في الدين)[36], وكتأكيد على التسامح الديني يذكر البخاري " حين حدث تشاد بين مسلم ويهودي فقال المسلم : والذي اصطفى محمداً على العالمين وقال اليهودي:

[30] سورة الاعلى ، الآية 18-19.
[31] سورة الشعراء ، الآية 10 -11؛ سورة السجدة ، الآية 23-24.
[32] سورة الاحقاف ، الآية 12؛ سورة الشعراء ،الآية 192- 7؛ سورة البقرة الآية 41.
[33] ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج2، ص194،74
[34] الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، (القاهرة-1971) ،ج2،ص16-17؛ الدوري، عبدالعزيز، أوراق في التاريخ والحضارة ، دار الغرب الاسلامي، (بيروت -2007)، ج3، ص90-93.
[35] الواقدي ، المغازي ، ص176..
[36] سورة البقرة ، من الاية 256.

والذي أصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم اليهودي فشكا الى النبي محمد(ﷺ) فدعى المسلم ونهره قائلاً "لا تخيروني على موسى"[37].

إن من أعظم مبادئ التعايش العدل مع المخالف وجعل ذلك دليلا على التقوى التي رتب عليها أعظم الجزاء قال تعالى: (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)[38].

ولذا فإن من يتأمل أحكام الإسلام وتاريخ المسلمين يجد أنه لا يمكن أن يقوم مجتمع تحترم فيه الحقوق والواجبات كما في دولة الإسلام ، وفي أوج عزة دولة الإسلام وقوتها كان يوجد من غير المسلمين العلماء والأدباء والأطباء والنابغون في مختلف الفنون والأعمال، وهل يمكن أن يكون لهؤلاء ظهور ونبوغ في أعمالهم لولا سماحة الإسلام ونبذه للتعصب الديني.

الخاتمة

فلا بد من وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج بعد أن اكتملت صورته بالشكل الذي رسمناه له، فأقول:

1- ان في هذا الدين من السماحة والسهولة ومن اليسر والرحمة ما يتوافق مع عالميته وخلوده وهو ما يجعله صالحا لكل زمان ومكان لسائر الأمم والشعوب.
2- التعايش السلمي تعبير يراد به خلق جو من التفاهم بين الشعوب بعيداً "عَنِ الحَرْبِ وَالعُنْفِ".
3- التعايش هو إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالمَ، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على ما فيه الخير الذي يعم بني البشر جميعا دون استثناء.
4- التعايش السلمي هو اتفاق وقبول وتصالح أخلاقي بين الناس في تعاملهم ومعاملاتهم حيث ما وُجِدوا في نفس الزمان والمكان.

[37] البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت 256هـ) ، صحيح البخاري ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة البخاري ، (مصر -1979) ، ج1، ص227. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج3، ص143.

[38] سورة المائدة / 8.

5- ان التعايش لا يكون الاّ بوجود الألفة والمودة، ولا يعيش الإنسان مع غيره الاّ إذا وجد بينهما تفاهم ورغبة بعيشة مشتركة لحمتها الألفة تسودها المودة والثقة.

6- شرع الإسلام مواساة غير المسلمين بالمال عند الحاجة فشرع للمسلم أن يعطيهم من الصدقة ويهدى إليهم ويقبل هديتهم ويواسيهم عند المصيبة ويعود مريضهم ويهنئهم بما تشرع فيه التهنئة كالتهنئة بالمولود والزواج وبناديهم بأسمائهم المحببة إليهم تأليفا لهم.

7- إنّ مفهوم العدل من المفاهيم العالمية والإنسانية ولم يكن مفهوما دينيا بقدر ما هو مفهوم عقلي وحركة البشرية منذ تاريخها الأول إلى يومنا هذا تبحث عن تجسيد هذه القيمة وتتبناها رغم اختلاف الأديان فهو من المفاهيم العالمية المشتركة بين بني البشر.

المصادر

- القران الكريم

1) الإعلام العربي بين التنوير والتزوير، أحمد جابر حسنين، دار القلم ،بيروت، 1992.
2) أوراق في التاريخ والحضارة، عبدالعزيز الدوري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2007.
3) تاريخ الطبري، محمد بن جرير، دار صادر، بيروت، 1980.
4) التعريف في فضل حملة العلم الشريف، الحبيشي، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت).
5) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، دار التوزيع، القاهرة، 1989.
6) التفكير في زمن التكفير نصر حامد، ابو زيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995.
7) التقارب والتعايش مع غير المسلمين، محمد موسى الشريف، دار ابن كثير- دمشق-بيروت، 2006م.
8) جمهرة خطب العرب, أحمد زكي صفوت، دار القلم، (بيروت – د.ت).
9) حروب دولة الرسول، سيد محمود القمي، مطبوعات مدبولي الصغير، القاهرة – (د.ت).
10) الحوار من أجل التعايش، د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م.

11) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبد الله اللحيدان، مطابع الحميضي، الرياض، 1420هـ .

12) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام, أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي, تحقق: عمر عبد السلام السلامي, دار إحياء التراث العربي، بيروت, 2000م.

13) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة البخاري، مصر 1979م.

14) عناية المسلمين بأسرار وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، حسن عبد الفتاح أحمد، د. مط، (المغرب-د.ت).

15) غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م.

16) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد، مكتبة السلام العالمية، (القاهرة – د.ت).

17) الفوز الكبير في أحوال التفسير، ولي الله الدهلوي، دار الجيل، بيروت، 1975 .

18) كتاب العين، الخليل احمد الفراهيدي: دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

19) لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين ابن منظور ، دار صادر، بيروت، 1994م.

20) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، علي الوردي، دار الكتاب الإسلامي، (د.م)، 2005م.

21) مغازي الواقدي, محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي, تحقيق: مارسدن جونس, دار الأعلمي – بيروت, 1989م.

22) المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي (بغداد – د.ت).

23) مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق،1979م.

24) من قاموس التراث، هادي العلوي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1988م.